

مطبوعات ومخطوطات

عقلاء المجانين

مهما اختلفت التقلبات على العقل البشري لا تزال مادة خواطره واحدة على تباين الاعصار والامصار . فما يجول في افكار أبناء هذا العصر الجديد من الموضوعات قد جال في خيال أهل القرون الخالية . وما كل ما اخترع اليوم واستنبط كُشف سره في جيل أو قرن بل إن التصورات تكاد تكون واحدة وإن اختلفت ضعفاً وقوة وكل ما يهزنا من أسباب الحضارة هو عمل قرون كثيرة

من كان يظن ان بعض سلفنا خطر له ان يُطرف أبناء عصره بكتاب في نكات المجانين وحكم البله والمتباهين . هذا المصنف^(١) هو للعلامة الثبت الناقد الحجة الرحلة ابي القاسم الحسن بن حبيب المفسر النيسابوري بدأه بمقدمة في الجنون وما ورد فيه في الكتاب العزيز وما احتالت به قریش على الرسول صلوات الله عليه من نسبتِهِ الى الجنون لما دعاها الى الحق شأن كل قبيل ينسب للجنون كل عاقل يخالف قوله وفعله ما هو فيه وتوارثه بالتقليد الاعمى

قال المؤلف : « لقد سألتني بعض اصحابي عوداً على بدء أن أصنف كتاباً في عقلاء المجانين وأوصافهم وأخبارهم وكنت اتفامس عنه الى ان تمادى به السؤال فلم أجد بداً من اسعافه بطلبته واجابته الى بفيته تحرياً لرضاه وتوخياً لهواه وكنت في حادثة سني سمعت كتباً في هذا الباب مثل كتاب الحافظ وكتاب ابن أبي الدنيا واحمد بن تقيمان وابي علي سهل بن علي البغدادي رحمهم الله فوق كل كتاب منها في جزء ما يقارب

(١) ظفرت بهذا الكتاب في مكتبة الشيخ ابي الخير عابدين بدمشق ضمن مجموعة من مجاميعها وهي مكتوبة ثلاث وعشرين خلت من المحرم سنة ١٠٦٥ بالتسطينية

جزءاً تتبعها وتبقتها وضمنت اليها قرائنها وعزونها الى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب وهو كتاب يكفي الناظر فيه الترداد وتصفح الكتب وأرجو اني لم أسبق الى مثله .

ثم ذكر المؤلف أصل الجنون واسماء المجنون في اللغة أورد منها الاحق واستشهد

بقول الشاعر

سبحان من نزل الاشياء منزلها وصير الناس مرفوضا وموموقا

فعاقل فطن أعيت مذاهبه وجاهل حق تلقاه مرزوقا

ومنها المعنوه والاخرق والمائق والرقيع والمرقان واستشهد بقول عبيد الله بن عبد الله

وما الناس الا وعاة العلوم وسائرهم غتم في قطع

وانا بلينا يله حير ومحنة دهر رفيع رفيع

ومنها الموسوس والانوك والبدهة والدولة والموتة والعرهاة والاولق والمهوس والبلباجة

واللحم والجذب والهجاجة والرشاع ثم ذكر الامثال المضروبة في الحق والحقق فيها

قولهم تحسبها حقاء وهي باخس اي انها مع حقها تظلم غيرها . ومن أمثالهم أحق بلغ

أي انه مع حقه يبلغ حاجته ومن أمثالهم فيه خرقاء ذات نبقة اي انها حقاء وهي مع ذلك

ثائق في الامور . ومن امثالهم أحق من رجلة وهي البقلة الحقاء وحقها انها تنبت في

السروح ومسايل الاودية فيجيء السيل فيجر فيها . ومن أمثالهم انه لاحق من ترب العقد

والعقد عقد الرمل وحقه انه ينهار ولا يثبت فيه الترب يُقرب للذي لا يثبت ولا

يستقر على حال . ومن امثالهم انه لاحق من دعة وهي امرأة عمرو بن جندب بن العنبر

ومن أمثالهم أحق من المبهورة احدى خدمتها (ها الخللخالان) وقول العرب للمبالغ

في الجنون جنونه مجنون ولبعض أصحاب الشافعي

جنونك مجنون ولست بواجد طيباً يداوي من جنون جنون

ومنها خامري أم عامر (كنية الضبع) ومنها انه لاحق من المعقوق قال ابن الكلبي

يقول العرب انه لاحق من حاقة شفق وذلك لانها تبيض على الاعواد فربما وقع
يضا فانكسر . والمجانين على ضروب فمنهم المعتوه والمرور والمسوس والعاشق قال
الاصمعي : لقد اكثر الناس في العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول بعض نساء
الاعراب وسئلت عن العشق قتالت داء وجنون . وكانت العرب تقول الشاب شعبة
من الجنون

وهناقم القسم العلمي من الكتاب وبدأ المؤلف بورد القصص والحكايات
الكثيرة على المجانين واشعارهم وذكر أمثلة ممن اعتقد بدعة وارتكب كبيرة فأدركه شوها
فجن ومن جن من خوف الله ومن تجان وتحمق وهو صحيح العقل وهم ضروب فمنهم
من تعايط ذلك ليري شأنه ويستتره على الناس ومنهم من تحامق لينال غناه ومن تحامق
ليطيب عيشاً ومن تحامق لينجو من بلاء وآفة

ولم تخل هذه الحكايات من حكم وأمثال لا يتأتى مثلها الا لارباب القول واشعار
لطيفة قلما تجدها فيما بين أيدينا من الكتب كقول علي بن محمد بن قادم
عذلوني على الحاقة جهلاً وهي من عقلم الله وأحلى
لو لقوا ماقيت من حرقة الماء لم يساروا الى الجلالة رسلا
ولقد قلت حين أغروا بلوي أيها اللاثمون في الحق مهلا
حقى قائم بقوت عيالي ويموتون ان تعاقت هزلا

وذكر كثيراً من أخبار أويس القرني اول من نسب الى الجنون في الاسلام
ومجنون ليلى وسعدون المجنون وبهلول وعليان وغيرهم
ومن حكاياتهم ان رجلاً آلى يمين ان لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما
قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على ان يسأل اول
من نظرابه فزأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه وركب قصبة فأخذ رجمه
فسلم عليه وقال : مسئلة . فقال : سل ما يعينك وإياك وما لا يعينك . قلت : مجنون

والله ثم قلت : اني أصبت من النساء بلاء وآليت ان لا أتزوج حتى استشير مائة ففس
وأنت تمام المائة . فقال : اعلم ان النساء ثلاث واحدة لك وواحدة عليك وواحدة
لا لك ولا عليك فأما التي لك فتشابة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك ان رأيت
خيراً حدثت وان رأيت شراً قالت كل الرجال على مثل هذا وأما التي عليك فامرأة
ذات ولد من غيرك فهي تسليخ الزوج وتجمع لولدها وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة
قد تزوجت قبلك فان رأيت خيراً قالت هكذا تحب وان رأيت شراً حنت الى زوجها
الاول . قلت : ناشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى قال ألم اشترط عليك ان
لا تسأل عما لا يعينك فأقسمت عليه فقال : اني رُشحت للقضاء فاخترت ما ترى
على القضاء . قلت : وقد فعل ابن الهيثم الرياضي الفيلسوف المشهور مثل هذا وترك
الوزارة وتجاناً ليكون له حرية يتمتع بها في خدمة العلم :

وقال الاصمعي : قال عمي : دخلت بعض احياء العرب فرأيت شيخاً موسوساً
يهذي وقد اجتمع اليه الناس فقلت من هذا ؟ فقالوا حساس الموسوس لا يزال ينام ليله
ونهاره وربما ينتبه فرعاً مرعوباً فيجلس ساعة ثم يصيح ويهيم على وجهه ثم يعود الى
نومه فبت ليلة هناك وهو على الحال الذي وصفوه فلما أصبحنا أتيت فقلت : ما اسمك
ياشيخ أنت أنوم من فهد مالك تنام دهرك فقال : النوم لا تبعه علي فيه وفي مجالستك
ومجالسة أضرابك تبعات . قلت : وأي تبعه عليك في مجالستي ؟ قال : اشتغل بك
عن انشائي ثم أنشد يقول

لقد أغنيت عن هذا السؤال وعما أنت فيه من المقال

فان كنت الغداة تريد قولاً فما فيه رضى مولى الموالى

ثم عدا هائماً على وجهه في تلك الرمال قائلاً : ما اكثر فضول أهل الحضر .

قال الاصمعي : بينا انا ذات يوم عند والي الكوفة وهو يسألني عن أهل البصرة
اذ أقبل مجنون بالباب يتكلم بالشعر فقال : ادخلوه فدخل فإذا هو رجل كأنه نحلة

سحوق تنن الاطراف موسوس فسلم على الامير فرد عليه السلام وقال: من أنت؟ فقال: اني
أنا أبو الشريك الشاعر من يسأل عني فأنا ابن الفاجر فقال الوالي: ما أمدحك لنفسك!! فقال:

لاني ارجل ارجالا ماشئت يا من البس الجالا

قال الاصمعي: قال لي الامير ما هذا مجنون فألق عليه ما عندك قلت له ما الريم
فقال: الريم فضل اللحم للجزار ينحره للفتية الا يسار قلت ما الحلوان فقال:
أليس ماتعطي على الكهانة والحُر لا يقنع بالمهانة
قلت ما الدكاع فقال:

ان الدكاع هو سعال الماشية والله لا ينجني عليه خافيه

قلت فما التوله فقال:

عوذة عنق الطفل عندي توله وقد تسمى العنكبوت توله

قلت فما الرقة فقال:

الرقة البين فسل ماشيتا لقد وجدت عالماً خربتا

قال الاصمعي: فاستحييت من كثرة ما سأله فقال: قل ما الهلقس والسحاح
والحل الرادح لا براح قلت: الهلقس الطمع الحريص والسحاح الذي لا يستقر في
موضع والرادح المهزول فقال:

ما أنت الا حافظ للعلم أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالي: فخذنا كل مجنون مثل هذا ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما قدم اليه المال قال:
اكل هذا هو لي بكرة ثم سروري واعترتني شيرة
ثم أقبل على الامير فقال:

رشت جناحي يا أخا قريش أقررت عيني وأطبت عيشي

والكتاب معظم من هذا النسق وهو يقع في نحو مئة صفحة منصفة القطع
مكتوب بخط جميل تغلب عليه الصحة. والغالب انه نقل عن نسخة صحيحة ووقع في
أيدي جاهزة تتأد قوتوا متأده وأوده أما انشاؤه فانشاء المئة الثالثة والرابعة سلاسة
بلا تكلف وطبع بلا تصنع

طبقات الشافعية الكبرى — اهدانا مصطفى افندي فهمي الكتيبي نسخة من هذه الطبقات لمؤلفها شيخ الاسلام تاج الدين بن تقي الدين السبكي المطبوعة في مصر على نفقة مولاي احمد بن عبد الكريم القادري الحسيني الفاسي نجاءت في ستة مجلدات حوت من الفوائد التاريخية والاجتماعية والادبية والمذهبية والخلافية والمناظرات والمطارحات والفكاهات والحكايات ما لا يسع المتعلم جهله فضلاً عن المشتغلين بفقهِ الشافعي لان الوقوف على سير ارباب هذا المذهب مما لا غنية لطالب عنه

ابتدأ المؤلف كتابه بمقدمة طويلة عريضة بلغت زهاء مئة وعشر صفحات من كتابه لا تخلو من مغامز وفوائد جاءت عرضاً . ولا بد أن تقع فيما ينقله المكثار ويرويه على طرفة تستطرفها وفائدة تقتطفها . ولذلك قالوا المكثار كحاطب ليل يجمع بين الجيد والردى . ولا ذنب في ذلك على التاج السبكي بل الذنب في الاكثر على عصره فقد كان عصر المشاغبات والمباحكات وضعف ملكة التأليف

قسم المؤلف كتابه الى طبقات سبع الاولى طبقة من جالسوا الامام الشافعي وعددهم نحو اربعين فقيهاً والثانية وهي فيمن توفي بعد المائتين للهجرة ممن لم يصحب الشافعي وانما ائقنى اثره ، وبلغ عددها نحو ثلاثين رجلاً . والطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة والاربعمائة وعددها نحو ١٧٠ مترجماً والطبقة الرابعة فيمن توفي بين الاربعمائة والخمسمائة وهي نحو ٢٧٠ فقيهاً . والطبقة الخامسة من مات بعد الخمسمائة وعددها نحو ٤٧٠ فقيهاً . والطبقة السادسة فيمن توفي بين الستمائة والسبعمائة وهي قرابة ٢٥٠ فقيهاً . والطبقة

السابعة فيمن توفي بعد السبعائة وتبلغ نحو ١٣٥ قتيها . وقد ساق المؤلف أسماءهم كلها على حروف المعجم وأكثر من الكلام على من ارتضاهم وربما أدخل في غمار الفقهاء من ليس منهم كما يفعل بعض مؤلفي الطبقات في الغالب جداً بتكثير سوادهم

وقد أورد التاج طرقاً كبيراً من الكوارث والفتن التي حدثت في بعض تلك الادوار استطرد اليها لادنى مناسبة وأكثر ما شاء وشاءت قريحته فلم يكن منها غير تكبير حجم الكتاب على غير طائل . وطبقات الرجال لا دخل فيها لحوادث الاجيال وهذه من خصائص كتب التاريخ السياسي . ومن يقرأ المناظرات التي ذكرها المصنف وهي مما وقع بين بعض الفقهاء المترجمين وبين غيرهم ممن لبسوا على مذهبهم يتضح له ما كان ثمت من تعصب بين المتخالفين وكيف صرف ارباب المذاهب أوقاتهم في الجدال والقتال . وانا لم نرَ عبارة لوصف هذه الطبقات اجمل من التي كتب بها اليانا احد كبار شيوخ العلم في الشام عند ما صدر الجزء الاول منها قال : « قد سررت بطبع طبقات التاج السبكي لقلة ما طبع من كتب التاريخ في مصر وان كان السبكي شديد التعصب كما يظهر من مقدمة الكتاب التي أفرد لها لزم التعصب والمتعصبين وجعل من المفرطين فيه شيخه الحافظ الذهبي . فزعم انه افراط على الاشاعة ومدح فزاد في المجسمة يريد بالمجسمة الخباثة وعلماء الحديث وهي عبارة تدل على فرط السخافة فان كان الذهبي متعصباً فتعصبه نشأ عن خطأ في الاجتهاد وتعصب التاج عن عناد ولجاج غير ان الزمان سيسقط كل نموه أياً كان فينتفع بكتابه بمثل ذكر ما للمؤلف من مؤلف ونحو ذلك » .

والكتاب جيد الطبع على الجملة يطلب من مكتبة مصطفى افندي فهمي بخمسين قرشاً مصرياً فنحث على اقتنائه فان حسناته كثيرة ولا يجوز أن يزهد في عقد من اللؤلؤ اذا كان فيه بعض الخرز . والصيرفي الخاذق ينقد الدينار الخالص من الستوق الزائف . ونثني على طابعه اجل ثناء

سبامه في القطر المصري — هو كتاب في نحو ١٥٠ صفحة فيه مباحث اجتماعية وتاريخية عن البحيرة والشرقية والفيوم وأسيوط وغيرها ومباحث عمومية عن العربان والامن العام وغير ذلك مما له علاقة بحياة هذه المديرية المهمة من القطر المصري ساح فيها عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ورئيس تحرير جريدة مصر وتكلم عن شؤونها بما دله عليه اختباره وفضله وقد نشرها أولاً في مصر ثم جعلها ملحقاً لمجلة المحيط وأرسلها لمشاركه في العام الماضي وهي تطلب من مؤلفها وفيها من الفوائد ما يرغب فيه كل مصري أديب فنحث على اقتنائها ونشكر لرصيفنا عنايته وهديته

سير العلم

لغة الاسبرانتو — انتشرت هذه اللغة التي ألفها الدكتور زامنهوف الروسي انتشاراً عظيماً في العهد الاخير وأقبل الاوربيون على تعلمها لسهولة مأخذها وسينعقد مؤتمرها هذه السنة في كبردج فتيق له كلية هذه المدينة احتفالاً بديعاً وقد أنشئت جمعية من علماء الحقوق ممن تعلموا اللغة الجديدة . ومن ينتصر لهذه اللغة وتلقنها ملكة اسبانيا وملكة نروج التي تعلم هذه اللغة